

الفرق بين الجهاد والإرهاب

للدكتورة / لمياء بنت سليمان الطويل

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً... أما بعد.

فإن الله ﷻ بعث محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل حيث كان الناس في جاهلية جهلاء: أوثان تعبد، ودماء تهدر، وشرك ينتشر ويسود، وعداوة شائعة، فأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وأحيا الله به قلوباً غلفاً، وأذاناً صمّاً، وأعيناً عمياً، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ومن هنا جاءت الشريعة الإسلامية منهجاً شاملاً لجميع نواحي الحياة، متوافقة مع فطرة الإنسان وطبيعته، مع تنظيمها لعلاقة الإنسان بربه بطريقة فريدة ومتميزة لا إفراط ولا تفريط، ولا غلو، ولا جفاء، يضاف إلى ذلك تمام هذه الشريعة وكمالها، وصلاحياتها لكل زمان ومكان وأمة، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].
وقال ﷺ: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»^(١).
ولقد أمر النبي ﷺ باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين، وحذر من مخالفتهم فقال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٢).

فدلت هذه النصوص وغيرها على وجوب اتباع الكتاب والسنة ووجوب اتباع سبيل المؤمنين في فهم السلف الصالح للكتاب والسنة.
يقول الإمام أحمد - رحمه الله -: (أصول أهل السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ والافتداء بهم وترك البدع)^(٣).
وقال ابن القيم - رحمه الله -: (فمن أنشأ أقوالاً وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله لم يجب على الأمة اتباعها ولا التحاكم إليها حتى تعرض على ما جاء به الرسول ﷺ فإن طابقته ووافقت، وشهد لها بالصحة قبلت حينئذ، وإن خالفته وجب ردها...) ^(٤).

-
- (١) المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، ج ١، ص: ١٧٥، رقم الحديث (٣٣٠)، سنن ابن ماجه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ج ١، ص: ١٦، رقم الحديث (٤٣).
(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ج ٤، ص: ٢٠٠، رقم الحديث (٤٦٠٧).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، ج ١، ص: ١٥٦.
(٤) زاد المعاد، لابن القيم، ج ١، ص: ٣٨.

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

وهذا لأنه متقرر عند الأئمة من السلف الصالح أن أقوال الناس وأعمالهم توزن بالنص والإجماع، فمن وافق نصاً أو إجماعاً قبل منه، ومن خالف واحداً منهما رد عليه كائناً من كان.

وإذا علم هذا فإن أبواب الدين التي عظمت فيها الفتنة والمحنة وكثر فيها الافتراق وتشنت فيها الأهواء والآراء، التكفير والتفسيق؛ لأن التكفير يولد الإرهاب والتدمير، والذي تمر به الأمة الإسلامية في هذا العصر، بل والعالم أجمع، الأمر الذي أدى إلى تعكر صفو الأمان والاستقرار، وما حدث في هذه الأمة من الفتن امتحاناً لمحاسبة النفس والعمل، أخذاً من قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وأخبر ﷺ أن من الكوارث والمصائب التي تصيب الأمة، ما يكون إنذاراً وتخويفاً وتنبيهاً للغافل، وتذكيراً للمؤمن العالم، وبين ﷺ عما حصل للأمم السابقة، كما أخبره ربه بذلك، وأن هذه الأمة التي حماها الله، من أن تهلك بسنة عامة، كما أهلكت الأمم من قبلها، كان من رأفة الله بها، واستجابة لسؤال المصطفى ﷺ ربه، وفي الصحيح من السنة أنه قال: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني الثالثة: سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة عامة، كما أهلك الأمم السابقة، فأعطاني إياها، وسألت ربي ألا يسلط عليهم عدواً من غير أنفسهم، فأعطاني إياها، وسألت ربي ألا يجعل بأسهم

بينهم شديداً فمنعت إياها»^(١).

فالمشكلة التي تمر بالامة الإسلامية اليوم، وفي كل مكان، وفي هذه البلاد - حرسها الله - هي الثالثة التي منع إجابتها لرسول الله ﷺ، فكان تسلط العدو لم يأت مباشرة، وإنما يتكئ على أفراد من المجتمع الإسلامي، قصر فهمهم، وضعفت معلوماتهم ليلبس عليهم فكراً ملوثاً، ونظرة قاصرة، وضعفاً في الإيمان والأمانة، وخيانة في العهد الذي أمر الله بحفظه، يقول- سبحانه وتعالى:- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

ولما كان رسول الله ﷺ، قد أخبر أن أول ما يفقد المسلمون من دينهم الأمانة، فإن أناساً ضلّوا عن الطريق السوي على ولاية الأمر وهم العلماء والحكام، وكفروهم وسعوا في الإضرار بهم، والإفساد وترويع الأمنين، بأساليب إرهابية، فإن هؤلاء الضالين قد جعلوا ذلك وسيلة لغاية، أعانهم عليها أعداء الأمة، وأعداء دين الله حتى يفسدوا في الأرض، ويقتلوا الأبرياء، ويخربوا ما كان صالحاً، بدعاوى كاذبة لا يقرها دين، وينفر منها العقل السليم، والمؤمن الذي يخاف ربه، خشية من عقاب الله، ومن مخالفة هدي رسول الله ﷺ.

ولقد جنى هؤلاء الإرهابيون على الأمة الإسلامية جناية عظيمة، فاستباحوا الأنفس المعصومة، وسفك الدماء، وتباهوا بالغدر والفجور

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج ٤،

ص: ٢٢١٥، رقم الحديث (٢٨٩٠)

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

والنيل حتى من النساء والصبيان باسم الجهاد، فأصيبت الأمة بنكبات كبيرة، وحلت بها شرور عظيمة بسبب تهور أقوام، ليس لهم حق اختيار، متى تقاتل الأمة عدوها؟ وكيف تقاتله؟ وأين تقاتله؟ وقد ظن هؤلاء أن الجهاد كان منقطعاً وغائباً عن حياة المسلمين فنادوا بإحياء سنة الخوارج (الاغتيالات) باسم الجهاد.

وما دعانا لنفرق بين الإرهاب والجهاد، لأن موضوع الإرهاب أصبح حديث الساعة، ويتصل بموضوع (الجهاد) دينياً في سبيل نيل الحرية والتحرير الوطني في البلدان التي تتعرض للاعتداءات الخارجية.

وبذلك اختلطت المفاهيم حول الإرهاب، والجهاد والنضال والمقاومة في البلدان العربية حيث ظهرت حوادث العنف، وخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، ولهذه الحوادث أسباب ودوافع، وفي تأملها وفهم حقيقتها يمكن التوصل إلى فهم حقيقة ما حدث أو يحدث الآن، ومن ثم يمكن الحكم على ما هو مشروع وما هو غير مشروع.

ومن خلال هذا البحث يمكن محاولة التوصل إلى الإجابة عن بعض الأسئلة حول الإرهاب، متى تسمى حوادث العنف إرهاباً، ولماذا؟ ومتى تكون مشروعة، فتدعى جهاداً.

فالحاجة داعية لبيان المفهوم الشرعي الحقيقي للجهاد، وبيان معناه الشامل، وبيان أفضل أنواع ورتب الجهاد والتي التزمها السلف الصالح في هذه الأمة، فأظهرهم الله وأعزهم ونصرهم، وسلموا من أثقال الدماء

المعصومة حين رأينا في هذا الزمن من جعل الجهاد فوضى وتحايل فاستباحوا هذه الدماء، ومنهم من غرر به فاستفاد منهم أعداء الإسلام، فصارت طاقاتهم وأوقاتهم منصرفة إلى إضعاف أوطانهم، وتدمير الاقتصاد، وزعزعة الأمن، فقاموا بما عجز عنه الأعداء، وما زال الفكر الإرهابي التكفيري يمضي بقوة في أوساط شباب الأمة منذ أن اختلقته الخوارج، فما هذه التفجيرات المدمرة والاغتيالات الغاشمة، والمذابح الماكرة للمصلين بل للشيوخ والأئمة، ما هذا كله وغيره من الفواجع إلا ثمرة من ثمرات الفكر التكفيري وعواقبه ولواحقه.

من أجل هذا كله وغيره، رأيت أن أساهم ببحث نستطيع من خلاله معالجة المفاهيم الخاطئة حول مفهوم الجهاد الصحيح واتهام أعداء الإسلام بأن الإسلام دين الإرهاب، وبين الإرهاب الإجرامي والذي أصبح ظاهرة عالمية خطيرة والذي ذمه الإسلام وحذر من أخطاره.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث ، و يبارك في جهود سائر الإخوان من العلماء والباحثين في درء الشر عن هذه الأمة لترشيد أبنائها وهدايتهم إلى الحق والصراط المستقيم، ومعالجة قضايا التكفير والتطرف والإرهاب في ظل منهج الإسلام الذي أغلق جميع السبل المؤدية لذلك عن طريق الأخذ بمنهج الوسطية والاعتدال في شؤون الحياة كلها.

نسأل الله - عز وجل - أن يجنبنا وعموم بلاد المسلمين الفتن والضلالات

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

وأن يحفظ على المسلمين ديارهم وأموالهم وأعراضهم ودماءهم وعقائدهم إنه سميع مجيب، ويرد كيد أعدائهم ويكفي المسلمين شرورهم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الموضوع:

١ - ترسيخ مفهوم الوسطية وأن الإسلام دين الحنيفية السمحة، ودين اليسر، وأن الوسطية سمة الدين ومنهاجه.

٢ - إبراز مزايا وسطية الإسلام والتي من أهمها الأمان عقدياً وفكرياً ومادياً محسوساً والبعد عن الخطر والإفساد في الأرض.

٣ - نشر المنهج الحق لما يتعرض له الدين الإسلامي من هجمة شرسة من أطراف متعددة داخلية وخارجية في بيان المشروع من الجهاد، وما أدخل فيه خطأ أو ظلماً.

٤ - رد الافتراءات والأكاذيب التي توجهها وسائل الإعلام الغربية إلى الإسلام بأنه يدعو إلى التطرف والعنف وهو منها بريء.

٦ - توضيح الالتباس الذي وقع على كثير من الناس في حكم ما يحدث في هذه الأزمان من تكفير وتخريب باسم الجهاد في سبيل الله، في حين أن الذين يقومون بهذه الأعمال هم الجهلة والمغرضون.

٧ - أهمية الفصل بين الإرهاب الإجرامي والجهاد الشرعي.

تعريف مصطلحات الدراسة.

الفرق: تفريق ما بين الشيئين حتى يتفرقا، والفرق: الفصل بين الشيئين، فرّق يفرق فرّقاً: فصل، وقوله تعالى: ﴿فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا﴾ [المرسلات: ٤]، قال ثعلب: هي الملائكة تزيل بين الحلال والحرام^(١).

الجهاد: كلمة ومصطلح شرعي عام، ورد ذكره في الكتاب والسنة، وكتب الفقه وكلام أهل العلم، وستعرض لمفهوم الجهاد في ثنايا البحث وأنواعه وأحكامه.

أما كلمة الإرهاب فهي أخص من كلمة الجهاد، وتدخل في مدلولها الشرعي ضمن دائرة الجهاد، كما قال جل وعلا: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ولكن التعرف على مفهوم الإرهاب أمر ضروري والذي كان ضمن خطة البحث؛ لأن هناك خلافاً واضحاً في آراء الباحثين واتجاهاتهم ممن بحثوا في هذا المجال لإيجاد تعريف محدد متفق حوله.

ولكن نجد في وقتنا الحاضر كثر الكلام في هذه مسألة الفرق بين الجهاد والإرهاب؛ فكلمة الإرهاب استغلت استغلاً واسعاً من قبل أعداء الملة والدين، وذلك للقضاء على مفهوم الجهاد الشرعي، هذا ما سأحاول بيانه - بإذن الله - في هذا البحث.

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج ١٠، ص: ٢٤٤.

خطة البحث الإجمالية:

- تمهيد.
- أهمية الموضوع.
- تعريف مصطلحات الدراسة.
- أما خطة البحث فتشتمل على مبحثين رئيسيين هما: الجهاد والإرهاب.
- المبحث الأول: الجهاد ويشتمل على:
 - توطئة.
 - المطلب الأول: مفهوم الجهاد لغةً وشرعاً.
 - المطلب الثاني: منزلة الجهاد في الإسلام.
 - المطلب الثالث: أنواع الجهاد ومراتبه.
 - المطلب الرابع: وسطية الإسلام في الجهاد.
 - المطلب الخامس: شروط الجهاد.
 - المطلب السادس: وسطية الإسلام في القواعد الشرعية للجهاد.
 - المطلب السابع: تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الجهاد.
- المبحث الثاني: الإرهاب ويشتمل على:
 - توطئة.
 - المطلب الأول: تعريف الإرهاب لغةً واصطلاحاً.
 - المطلب الثاني: نشأة الإرهاب وعلاقته بالفرق عبر التاريخ.
 - المطلب الثالث: أسباب الإرهاب.

- المطلب الرابع: فتاوى العلماء في الإرهاب التي توضح وسطية الإسلام.
- المطلب الخامس: جهود المملكة في مكافحة الإرهاب.
- المطلب السادس: المنهج الوسطي في الفرق بين الجهاد والإرهاب.
- الخاتمة وتشتمل: على أبرز النتائج والتوصيات.
- الفهارس وتشتمل على:
 - فهرس الآيات.
 - فهرس الأحاديث.
 - فهرس الموضوعات.

المبحث الأول

الجهاد

(مفهومه، منزلته، أنواعه، شروطه، ووسطية الإسلام في ذلك

تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الجهاد)

وفيه سبعة مطالب:

- المطلب الأول: مفهوم الجهاد لغةً وشرعاً.
- المطلب الثاني: منزلة الجهاد في الإسلام.
- المطلب الثالث: أنواع الجهاد ومراتبه.
- المطلب الرابع: وسطية الإسلام في الجهاد.
- المطلب الخامس: شروط الجهاد.
- المطلب السادس: وسطية الإسلام في القواعد الشرعية للجهاد.
- المطلب السابع: تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الجهاد.

توطئة :

إن من الخصائص العظيمة التي امتن الله - سبحانه وتعالى - على هذه الأمة، وميزها عن بقية الأمم أن شرع لها الجهاد، وجعل ما يحصل بسببه من الأجر والمثوبة الشيء العظيم، تلك هي الفريضة التي جعلت للمسلمين الأوائل الغرة والتمكين في الأرض، ومن ثم السيادة على باقي الأمم، وقد علم أولئك فضل الجهاد، وعملوا به على الوجه المطلوب الذي أراده الله - ﷻ - ورسمه لرسوله؛ ولهذا لم يكن جهادهم وكفاحهم لتحقيق أهداف شخصية، أو أطماع دنيوية زائلة، أو حبا للملك والرياسة، وإنما كان الغرض من هذا كله إعلاء الحق، وجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، ومن إعلاء كلمة الله تطبيق شرعه الذي أمر به، وتعبيد الناس لله، وإعمار الأرض بما يرضيه سبحانه، وإرهاب أعداء الله، وزرع المهابة في قلوبهم.

كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].



المطلب الأول

مفهوم الجهاد

وفيه فرعان:

- الفرع الأول: تعريف الجهاد لغة.
- الفرع الثاني: تعريف الجهاد شرعاً.

الفرع الأول

تعريف الجهاد لغة

بالرجوع إلى مادة جهد في كتب اللغة، نجد لها معاني كثيرة، ولكن هناك معانٍ لغوية مناسبة لمعنى الجهاد، وهي:

الطاقة، والمشقة، والوسع، والقتال، والمبالغة.

ويقال: جاهد في سبيل الله مجاهدةً وجهاداً^(١)، وقال: ابن فارس (الجيم والهاء والdal أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه)^(٢).

وقال الفراء: بلغت به الجهد: أي الغاية، واجهد جهدك في هذا الأمر، أي ابلغ فيه غايتك، وأما الجهد: فالطاقة: يقال: اجهد جهدك^(٣).

وقال الراغب: الجَهد والجُهد: الطاقة والمشقة، وقيل: الجَهد بالفتح المشقة، والجُهد بالضم الوسع^(٤).

(١) الصحاح، للجوهري، ج ٢، ص: ٤٦١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص: ٢٢٧.

(٣) تهذيب اللغة، للأزهري، ج ٦، ص: ٢٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص: ٩٩.

وقال الشيخ مصطفى السيوطي: الجهاد مصدر جاهد جهاداً، ومجاهدة إذا بالغ في قتل عدوه^(١).
إذا... فتعريف الجهاد لغة يطل على بذل الطاقة أو الوسع أو المشقة، وكلمة الجهاد لها مدلول عميق؛ ولهذا نجد العلماء في كتب التفسير والحديث والفقه وغيرها إذا عرفوا الجهاد لغة قالوا هو: بذل الطاقة أو الوسع.



(١) مطالب أولي النهى شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي، ج ٢، ص: ٤٩٧.

الفرع الثاني

تعريف الجهاد شرعاً

أما تعريف الجهاد شرعاً فإنه يدور عند أغلب الفقهاء من أهل المذاهب على قتال المسلم الكافر بعد دعوته إلى الإسلام أو الجزية وإبائه.

فعند الحنفية:

قال الكاساني في بدائع الصنائع: (الجهاد في عرف الشرع يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله - ﷻ - بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك)^(١).

عند الشافعية:

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (بذل الجهد في قتال الكفار)^(٢). وفي إعانة الطالبين: (والجهاد أي: القتال في سبيل الله، مأخوذ من المجاهدة وهي المقاتلة في سبيل الله)^(٣).

عند المالكية:

عرف بأنه: (قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى)^(٤).

(١) بدائع الصنائع، للكاساني، ج ٧، ص: ٩٧.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ج ٦، ص: ٣.

(٣) إعانة الطالبين، لأبي بكر بن السيد الدميّاطي، ج ٤، ص: ١٨٠.

(٤) الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الدردير،

ج ٢، ص: ٢٦٧.

عند الحنابلة:

عرفوه بأنه: (قتال الكفار)^(١).

ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - تعريف عام للجهاد قال فيه: (والجهاد هو بذل الوسع والقدرة في حصول محبوب الحق، ودفع ما يكرهه)، وقال أيضاً: (... وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبه من الإيمان، والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان)^(٢).

وبهذا يتضح أن الجهاد في تعريفه الشرعي عند العلماء ينحصر عند أغلب الفقهاء بالنسبة لمن يتجه إليه في قتال الكفار، وهذا هو تعريف الجهاد عند الإطلاق، وهناك أنواع أخرى أطلق عليها الشارع اسم الجهاد مع خلوها من القتال كجهاد المنافقين، وجهاد النفس، وهو يتسع ليدخل فيه الجهاد باليد واللسان والقلب.



(١) الروض المربع، للبهوتي، ج ٣، ص: ٣.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ١٠، ص: ١٩١.

المطلب الثاني

منزلة الجهاد في الإسلام

وفيه ثلاثة فروع:

- الفرع الأول: تشريع الجهاد.
- الفرع الثاني: أهداف وغايات الجهاد المشروع.
- الفرع الثالث: فضل الجهاد.

تمهيد:

الجهاد عبادة وطاعة وفضيلة، وهو ذروة سنام الإسلام، والجهاد في سبيل الله فريضة عظيمة، وهو قوام الدين كما قال ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»^(١).

وقد أمر الله به في كثير من الآيات، وحث عليه ورغب فيه، وكذلك نبينا محمد ﷺ أمر بالجهاد ورغب فيه، وحث عليه وبيّن فضله وفوائده، حتى إن بعض العلماء عدّه ركنًا من أركان الإسلام لأهميته، يقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف: (والجهاد ركن من أركان الإسلام الذي لا استقامة للإسلام ولا قوام لشرائعه إلا به)^(٢).

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ج ٥، ص: ١١، رقم الحديث (٢٦١٦)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ج ٧، ص: ١٢.

لكثرة ما جاء في شأنه من الآيات والأحاديث، وهذا مما لا شك فيه وهو
مجمع عليه بين أهل العلم، ومدوّن في كتب الحديث أو في كتب الفقه، وفي
كلام أهل العلم^(١).

(١) انظر: الجهاد وأنواعه وأحكامه، للشيخ صالح الفوزان، ضمن سلسلة وصايا وتوجيهات
للشباب، ص: ٧٩.

الفرع الأول

تشريع الجهاد

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (والله تعالى قد بعث في كل قوم نبياً)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وكذلك قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءٍ وَلَتُنْصَرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١]، والنصرة مع الإيمان هو الجهاد، ونوح وهود ونحوهم من الرسل لم يؤمروا بالجهاد، ولكن موسى وبنو إسرائيل أمروا بالجهاد^(١).

والجهاد فريضة قديمة، ولقد جاهد موسى ﷺ، فخرج ببني إسرائيل غازياً، قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كُتِبَ لِلَّهِ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]، فحصل منهم ما حصل وعاقبهم الله بما ذكره - ﷻ - في هذه الآيات في سورة المائدة.

وفي النهاية وبعد موت موسى ﷺ قاموا بالجهاد، وفتحوا بيت المقدس، ودخلوا فيه بالجهاد في سبيل الله.

وكذلك في بني إسرائيل من بعد موسى كان الجهاد مشروعاً كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْأَمْلَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا

(١) الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص: ٤٥٣.

لُقِّتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴿البقرة: ٢٤٦﴾.

وكذلك سليمان عليه السلام وشأنه مع بلقيس ملكة سبأ وأنه قال: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّنَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ﴿النمل: ٣٧﴾. فهذا دليل على أن الجهاد أمر ماضٍ في الأمم قبلنا، إلا أن الجهاد في شريعتنا يختلف عن شريعة من قبلنا، فإننا نجد أنه لم يفرض على بعض الرسل، وفرض على بعض الرسل جهاد الدفع، ثم فرض عليهم جهاد الابتداء.

وشريعتنا قد جمعت الأحوال هذه كلها، فقد كان النبي ﷺ وأصحابه مأمورين بالكف عن القتال، ثم أمروا بقتال الدفع، ثم لما قويت شوكتهم أمروا بقتال الابتداء لنشر الإسلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ^(١): (إن المسلمين كانوا ممنوعين قبل الهجرة، وفي أوائل الهجرة من الابتداء بالقتال،... إلى أن قال: ولهذا أول ما أنزل من القرآن فيه نزل بالإباحة لقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ [الحج: ٣٩].

(١) ينظر إلى كلام ابن تيمية في كتاب الصارم المسلول، ص: ١٠٣.

الفرع الثاني

أهداف وغايات الجهاد المشروع

الجهاد في سبيل الله طاعة عظيمة، شرعت لأهداف وغايات، وليس لمجرد إزهاق النفوس وإراقة الدماء.

ومن أعظم هذه الأهداف وتلك الغايات:

أولاً: هو هداية الناس إلى الحق؛ لأجل أن يعبد الله وحده، وأن يكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان، يقول عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله»^(١).

والجهاد سبيل لإعلاء كلمة الله، وإزالة الشرك والكفر، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ الَّذِينَ كُفُّهُ لِّلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].
ثانياً: رفع الظلم عن المظلومين ونصرهم، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].
ثالثاً: حفظ الإسلام والدفاع عن الأوطان والأعراض والأموال ورد العدوان، وفي هذه الحالة يتعين الجهاد على أهل البلد المعتدى عليهم، قال

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ج ٣، ص: ١٠٧٧، رقم (٢٧٨٩).

تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنَ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

إذا... فالغايات والنظر إليها، والعناية بها ورعايتها من فقه العلماء، ومن بصيرة الأئمة في الدين؛ وإنما شرع الجهاد لدفع الفتنة، فهذا هو الهدف الأسمى للجهاد، فإذا أصبح الجهاد نفسه محدثاً للفتنة في الدين، ومانعاً من تعبيد الناس لرب العالمين، وصد الناس عن دعوة الحق، لم يحقق بذلك مقصوده الأسمى.

هذه هي الرؤية الوسطية التي تؤمن بأن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وأنه متعدد الصور والميادين، وهو إحدى الوسائل الشرعية لتحقيق الأهداف الشرعية، ولمواجهة العدوان على الملة والوطن والأمة، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمُ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].



الفرع الثالث

فضل الجهاد

فضائل الجهاد كثيرة جداً، وتطلُّبُها من مصادرها سهل معروف، وهو باب شريف من أبواب هذه الشريعة الغراء؛ ولذلك كان لا يقوم به إلا ذوو الشرف والسؤدد في الدين.

قال ابن القيم: (فائدة: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، علّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفضل الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد^(١).

ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: (الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات، ومن أعظم الطاعات، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض؛ وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة الدين، وقمع المنافقين والكافرين، وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية بين العالمين، وإخراج العباد من الظلمات إلى النور ونشر محاسن الإسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين).

وقد ورد في فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث

(١) الفوائد، لابن القيم، ص: ٧٨.

النبوية ما يحفز الهمم العالية، ويحرك كوامن النفوس إلى المشاركة في هذا السبيل، والصدق في جهاد أعداء رب العالمين، وهو فرض كفاية على المسلمين إذا قام به من يكفي سقط عن الباقي، وقد يكون في بعض الأحيان من الفرائض العينية التي لا يجوز للمسلم التخلف عنها إلا بعذر شرعي، كما لو استنفره الإمام أو حصر بلده العدو أو كان حاضراً بين الصفين^(١).

ومما ورد في فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبَعُوكُمْ وَلَكِن بَعَثَ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةَ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤٣) لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ يُولُون بِأَلْفِهِمْ وَلَا يُولُونَ بِأَلْفِهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُنْفِقِينَ﴾ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَاةَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤١ - ٤٥].

ويقول تعالى: في فضل المجاهدين: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

(١) فضل الجهاد والمجاهدين، سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ص: ٢، ٣.

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

ففي هذه الآية الترغيب العظيم في الجهاد في سبيل الله - ﷺ -، وبيان أن المؤمن قد باع نفسه وماله على الله - ﷻ -، وأنه سبحانه قد تقبل هذا البيع وجعل ثمنه الجنة.

أما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد والمجاهدين، والتحذير من تركه والإعراض عنه فهي أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»^(١).

إذاً ففضل الجهاد هو ما اتفقت عليه النصوص، وإجماع الأمة، والتأكيد على أن هذه المنزلة وتلك الفضائل لا تحصل إلا للجهاد الشرعي الذي اجتمعت فيه الشروط، وانتفت الموانع، وتحققت غاياته ومقاصده، وغير ذلك من الأعمال التي يسميها أصحابها جهاداً، وهي ليست كذلك فليس لأهلها نصيب من تحصيل تلك الفضائل.

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ج ٣، ص:

١٠٥٩، رقم (٢٧٣٥).

المطلب الثالث

أنواع الجهاد ومراتبه

وفيه أربع مراتب:

- المرتبة الأولى: جهاد النفس.
 - المرتبة الثانية: جهاد الشيطان.
 - المرتبة الثالثة: جهاد الكفار.
 - المرتبة الرابعة: جهاد أهل البدع والمنكرات.
- قال ابن القيم - رحمه الله - في مختصر زاد المعاد: (الجهاد على أربع مراتب):

المرتبة الأولى: جهاد النفس، وهو أيضاً أربع مراتب:

أحدها: أن يجاهدها على تعلم الهدى.

الثانية: على العمل به بعد علمه.

الثالثة: على الدعوة إليه، وإلا كان ممن يكتمون ما أنزل الله.

الرابعة: الصبر على مشاق الدعوة، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل

هذه الأربع صار من الربانيين - فإن السلف مجمعون على أن العالم لا

يكون ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه.

المرتبة الثانية: جهاد الشيطان، وهو مرتبتان:

إحداها: جهاده على ما يلقي من الشبهات.

الثانية: على دفع ما يلقي من الشهوات، فالأولى بعدة اليقين، والثانية

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

بعده الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

المرتبة الثالثة: جهاد الكفار، وهو مرتبتان:

الأولى: باللسان.

الثانية: بالنفس والمال.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١].

المرتبة الرابعة: جهاد أهل البدع والمنكرات، فهو ثلاث مراتب:

الأولى: باليد إذا قدر.

الثانية: باللسان إذا عجز عن اليد.

الثالثة: بالقلب إذا عجز عن اللسان^(١).

كما قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - بما حاصله: (الجهاد نوعان: جهاد بالسيف والسنان، وهو جهاد العامة، وأنصاره كثير، وجهاد بالحجة والبيان وهو جهاد الخاصة من أتباع الرسل وهو جهاد الأئمة، وأنصاره قليل، وهو أفضل النوعين، لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه)^(٢).

كما أنه يفرق عند الكلام على الجهاد بين حالة الضعف وحالة القوة،

(١) مذهب زاد المعاد، ابن القيم، ص: ١١٢ - ١١٣.

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ج ١، ص: ٧٠.

ففي زمن الضعف يكون الجهاد الأكبر هو جهاد الدعوة، ودفع شبهات المخالفين، للحفاظ على سلامة اعتقاد المسلمين، وكذلك الجهاد بالحوار والمناظرات، والجهاد بالدعوة إلى الفضيلة، وكشف المخططات التي تحاك للأمة، والاعتزاز بالحق، وكشف البدع والمحدثات والنظريات التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ومزاحمة أهل الباطل بالمنهج الرباني الصحيح. كل هذا مع التدين والحكمة والوسطية في الأمر كله.

المطلب الرابع

وسطية الإسلام في الجهاد

وفيه فرعان:

- الفرع الأول: وسطية أهل السنة والجماعة في الجهاد.
- الفرع الثاني: مفهوم الوسطية في الجهاد.

تمهيد:

الإسلام دين الوسطية والاعتدال في الأمور كلها، ولقد بين رسول الله ﷺ لأئمة منهج التوازن والوسطية في الحياة كلها، وحذر من عواقب الانحراف عن الوسطية، كما أن الاتصاف بهذا المنهج لمن أكبر العون على معرفة سنن الله الثابتة الشاملة في الأفراد والمجتمعات التي لا تتغير ولا تبدل، كما نهى في الوقت نفسه عن الغلو، يقول تبارك وتعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

ولقد كان الجهاد من المسائل العظيمة التي كثر عنها الحديث في هذا العصر، فتناولها أناس ليس لديهم علم ولا بصيرة، فتكلموا في الجهاد ما بين متشدد وغال فيه، وما بين جاف ومتساهل في أمر الجهاد.

ولذلك كان لابد من بيان وسطية الإسلام في ذلك، فهي خصيصة من خصائصه التي حفظت هذا الدين من تيارات هي في الحقيقة هادمة له، ولو فقد مع هذه التيارات أهل الوسط والاعتدال لحصل لهذا الدين ما حصل لغيره من الأديان الأخرى، وهذه التيارات إما أن تكون غالية متشددة تخرج

الإسلام عن وسطيته، وتذهب عنه سماحته إلى التشدد، وتكليف النفس ما لا تطيق، وتضمين قضايا وصل الحال عند البعض إلى تفسيق الناس، وفي بعض الأحيان إلى تكفيرهم.

والحق هو الوسط فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وهذا لا يتأتى إلا من العلماء الراسخين الذين يعرفون مجريات الأمور، وتغيرات الأحوال.

الفرع الأول

وسطية أهل السنة والجماعة في الجهاد

لقد وعى السلف الصالح وسطية المنهج والتوازن في الدين فراحوا يدعون إليه قولاً وعملاً، وإن خير من تمثل الوسيلة التي جاء بها الإسلام - هم أهل السنة والجماعة - فتمثلوا الإسلام في جميع أمورهم، اقتداء بالنبي ﷺ، وخلفائه الراشدين اتباعاً للكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة، فهم أولى الناس دخولاً في هذه الوسطية، وإن كل معنى من معاني الوسطية ثبت لهذه الأمة، فلاهل السنة والجماعة منه الحظ الأوفر والنصيب الأعلى^(١).

فمن أصول الدعوة السلفية أن الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة مع الأمراء، أبراراً كانوا أم فجاراً؛ لذلك فنفسهم تتطلع إلى الجهاد، وقلوبهم تهفو إلى الشهادة في سبيل الله؛ لعلمهم بفضل الجهاد.

وقد قرر أهل السنة مشروعية الجهاد في سبيل الله مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، ومن ذلك ما جاء في اعتقاد سفيان الثوري - رحمه الله - حين قال: (والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جارٍ أو عدل)^(٢).

وقال الإمام أحمد بن حنبل في اعتقاده: (والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى

(١) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، د. محمد باكريم، ص: ٣٨٧.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، ج ١، ص: ١٥٤.

يوم القيامة البر والفاجر لا يترك^(١).

وقال الأصفهاني: (والجهاد ماضٍ منذ بعث الله - ﷺ - نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال).

كما قرر ذلك علي بن المديني، والطحاوي، والبرهاري في شرح السنة وابن قدامة في لمعة الاعتقاد وابن تيمية وغيرهم^(٢).

هذا هو منهج أهل السنة والجماعة في الجهاد، وجاء هذا التقرير خلافاً للرافضة والخوارج الذين عطلوا الجهاد في سبيل الله، وأبطلوا ذروة سنام الإسلام، فأما الرافضة فقالوا: لا جهاد حتى يخرج الرضا من آل محمد ﷺ، فقد جاء في فروع الكافي عن أبي عبد الله جعفر الصادق، قال: (القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير)، وبذلك شابهت الرافضة اليهود القائلين: لا جهاد حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيف من السماء^(٣).

وأما الخوارج فيجمعون على وجوب الخروج على الإمام الجائر، فكيف يجاهدون معه؟ بل كانوا يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، ج ١، ص: ١٦٠.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج ٢٨، ص: ٢٦٠.

(٣) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية، ج ١، ص: ٣٠.

الفرع الثاني

مفهوم الوسطية في الجهاد

الوسطية سمة بارزة ثابتة تشمل الشريعة كلها، سواء في الاعتقاد أو التشريع أو العبادة، أو الحكم، كما تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد.

إن مفهوم الوسطية الحقيقي هو التمسك بجميع تعاليم الشريعة السمحة بذاتها؛ لأن الإسلام بتعاليمه وشريعته يمثل الوسطية الحقيقية في جميع الأمور الدينية والدنيوية.

وإذا أردنا تحرير مفهوم الجهاد في ضوء مبدأ الوسطية، فإنه يعني في النصوص الإسلامية الثابتة جهاد النفس، وجهاد السلوك، وجهاد الدعوة، وجهاد عمل الخير، كما يعني القتال لرد العدوان وفق الشروط والضوابط الشرعية.

والناظر في مفهوم الجهاد يجد أن هناك غلواً جانب وسطية الإسلام، فأدى ذلك ببعض إلى التطرف، وتشويه هذه الشعيرة، فرفعوا راية الجهاد في معارك لا تتحقق فيها شروط الجهاد المعتمدة.

وكان أول من شوه الجهاد الخوارج الذين قتلوا الخليفة عثمان رضي الله عنه وقتلوا علياً رضي الله عنه بعد أن قاتلوه، ولكن لم يكن يشفع لهم طيب المظهر والتحلي بالتقوى والاجتهاد في العبادة؛ ولذا حذر منهم الصحابة - رضوان الله عليهم -.

ثم جاء خوارج هذا العصر، فشوهوا مفهوم وصورة الجهاد من جديد، حين جاهدوا في مدن المسلمين، ودمروا المساكن، وأحرقوا الممتلكات، وقتلوا الشيوخ والنساء والأطفال، فانخدع كثير من الناس بخطاباتهم الحماسية، وتورط عدد من الشباب، فحملوا هذا الفكر الخارجي وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ومعلوم أن الجهاد لم يشرع لأجل القتل، فالقتل ليس غاية في الإسلام، وإنما شرع الجهاد لتحقيق المصالح أو دفع المفساد، هذا هو دين الوسطية، فلا إكراه في الدين، حتى في الجهاد، قال ﷺ: «اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا»^(١).



(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، ج ٣، ص: ١٣٥٧، رقم الحديث (١٧٣١).

المطلب الخامس

شروط الجهاد

ويشتمل على:

١ - التكليف.

٢ - الحرية.

٣ - القدرة.

٤ - الذكورية.

٥ - إذن الوالدين.

٦ - إذن ولي الأمر.

١ - التكليف:

فالواجبات الشرعية تجب على البالغ العاقل، وقد جاء دليل خاص بالجهاد على شرط التكليف، وذلك أن النبي ﷺ ردَّ ابن عمر حينما عرض على النبي ﷺ يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه، وعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه.

وقال ابن القيم: (إن النبي ﷺ ردَّه لما استصغره عن القتال، وأجازه لما وصل إلى السن التي رآه فيها مطيقاً)^(١).

٢ - الحرية:

فالعبد ليس من أهل القتال، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى

(١) زاد المعاد، لابن القيم، ج ٣، ص: ٢٧٠.

وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يُفْقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿[التوبة: ٩١]، قال محمد بن عيسى بن أصبغ: (فأما العبد، فالجمهور على أنه ليس من أهل الفرض في الجهاد، وأنه لم يخاطب بذلك إلا الأحرار؛ لأن فعل الجهاد تصاب فيه النفس والمال بالإتلاف، وهو مقصور على ذلك بالشرع^(١).

٣ - القدرة:

وهي شرط معتبر، سواء في جهاد الأفراد، أو في جهاد الجماعة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يُفْقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (ومن كان عاجزاً عن إقامة الدين بالسلطان والجهاد ففعل ما يقدر عليه من النصيحة بقلبه، والدعاء للأمة، ومحبة الخير، وفعل ما يقدر عليه من الخير، لم يكلف ما عجز عنه)^(٢). وقال الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - عن الجهاد: (ولا بد فيه من شرط: وهو أن يكون عند المسلمين قدرة وقوة يستطيعون بها القتال، فإن لم يكن لديهم قدرة فإن إقحام أنفسهم في القتال إلقاء بأنفسهم إلى التهلكة... إلى أن قال: وعلى هذا، فلا بد من هذا الشرط وإلا سقط عنهم كسائر الواجبات)^(٣).

(١) الإنجاد في أبواب الجهاد، محمد بن عيسى بن أصبغ، ابن المناصف، ص: ١٠٨.

(٢) السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص: ١٣١.

(٣) انظر: فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة، جمع: محمد القحطاني.

٤ - الذكورية:

من شروط وجوب الجهاد الذكورية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّلَاقِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ۝٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٦﴾ [التوبة: ٨٦ - ٨٧].

قال الحافظ محمد الكرجي - رحمه الله - (ت: ٣٦٠هـ) في فوائد الآية: (فيه دليل على أن النساء لا جهاد عليهن وإن أطقنه؛ لأنه جل جلاله قد ذكر الخوالم مرتين في الآية الأولى، والثانية، ولم يخرجهن، إنما أخرج من تشبه في التخلف عنه بمن لا جهاد عليه)^(١).

٥ - إذن الوالدين:

عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: أحي والدك؟ قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»^(٢)

أي خصصهما بجهاد النفس في رضاهما^(٣)، وقد بين الحافظ ابن حجر رحمه الله: (أن هذا الرجل استفصل عن الأفضل في أعمال الطاعات؛ ليعمل به؛ لأنه سمع فضل الجهاد فبادر إليه، ثم لم يقنع حتى استأذن فيه، فدل على

(١) نكت القرآن الدالة على البيان، للحافظ محمد الكرجي، ج ١، ص: ٥٦٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب الجهاد بإذن الوالدين، ج ٣، ص: ١٠٤٩، رقم الحديث (٢٨٤٢).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٦/ ١٤٠.

ما هو أفضل منه في حقّه^(١)، فقلوه ﷺ: «ففيهما فجاهد»، قال الحافظ ابن حجر أيضاً: (أي إن كان لك أبوان فبالغ جهدك في برهما، والإحسان إليهما؛ فإن ذلك يقوم مقام الجهاد)^(٢).

٦ - إذن ولي الأمر:

وقد سئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان عن حكم القتال بدون إذن الإمام، فقال: (لا يجوز ما دام أنه ليس للمجاهدين إمام شرعي؛ لأن هذا يجبر على المسلمين شراً وضرراً أكثر مما يتوقع من المصلحة، فلا جهاد في الإسلام إلا بإمام، هذه هي القاعدة، وهذا مما يدل على ضرورة نصب الأئمة)^(٣).



(١) المرجع السابق، ٦/ ١٤٠.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ١٠/ ٤٠٣.

(٣) فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة، جمع وترتيب محمد القحطاني، ص: ٣٩١.

المطلب السادس

وسطية الإسلام في القواعد الشرعية للجهاد

وفيه ثلاثة فروع:

- الفرع الأول: تطبيق مبدأ العدل في قتال الكفار.
- الفرع الثاني: الوسطية في المبادئ العامة لكيفية القتال.
- الفرع الثالث: من الوسطية مراعاة المصالح والمفاسد.

الفرع الأول

تطبيق مبدأ العدل في قتال الكفار

إن الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله - عز وجل - لهذه الأمة، وبعث به محمد ﷺ، دين وفاء، وعدل، وصدق .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

دين الإسلام كما يأمر بالأخلاق الفاضلة، والآداب العادلة، فإنه يحارب الغدر والخيانة، والجور، والكذب، ومن أعظم الغدر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

إن للدماء في الإسلام حرمة عظيمة، وحصانة منيعة تظهر من خلال النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والمقاصد الشرعية، وإجماع الأئمة، وليس لأحد أن يجازف بدينه، ويسفك الدم الذي حرمه الله إلا بالحق.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

فالإسلام جاء لحفظ الضرورات الخمس وهي (الدين - النفس - العقل - العرض - المال)، ورتب حدوداً صارمة في حق من يعتدي على هذه الضرورات، سواء كانت هذه الضرورات للمسلمين والكفار من (معاهدين، أو مستأمنين أو ذميين)، فالإسلام كفل لهؤلاء الأنواع من الكفار الأمن على دماءهم وأموالهم وأعراضهم، ومن اعتدى عليهم، فقد خان الإسلام، واستحق العقوبة الرادعة.

والعدل واجب مع المسلمين ومع الكفار، حتى لو لم يكونوا معاهدين أو مستأمنين أو أهل ذمة^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢].

والعدل يعد السمة البارزة التي تنص عليها نصوص القرآن، والسنة النبوية الصحيحة في كل العلاقات الإنسانية، فالعدل حق للأعداء، كما هو حق للأولياء، ولا يصح أن تحمل العداوة بين المسلمين على ظلمهم، بل العدل مع الأعداء أقرب للتقوى^(٢).

وهذا دليل على وسطية وعدالة هذا الدين القويم الذي جاء به محمد ﷺ.

(١) الأمن وأهميته في المجتمع وخطورة الإخلال به، للشيخ د/ صالح الفوزان، مطوية من منشورات المكتب التعاوني لمحافظة بقيق.

(٢) العلاقات الدولية في الإسلام، د. وهبة الزحيلي، ص: ٣٤ - ٣٦.

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

وحيثما ندرك أهمية خاصة الوسطية في الإسلام فلا نفهم أن الوسطية
انسلاخ من دين الله، فالوسطية اعتدال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾
[الأنعام: ١٥٣].

فاتخاذ مبدأ العدل لا يعني ذلك أن نلغي الجهاد في سبيل الله ﴿فَإِنْ قَتَلْتُمْ
فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩١].

الفرع الثاني

الوسطية في المبادئ العامة لكيفية القتال

الإسلام دين وفاء، وما جاء لقتل الناس، وإنما جاء لدعوة الناس إلى الخير، وأما القتال فهو علاج يستعمل عند الحاجة، لكن الأصل الدعوة إلى الله - عز وجل - بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ثم إن قتال المسلمين للكفار يشتمل على أحكام عظيمة وهذا من وسطية هذا الدين القويم، والتي تدل على أن الإسلام دين العدل والرحمة حتى مع الكفار، ومن المبادئ العامة لكيفية القتال ما يلي:

١ - عدم الاعتداء والنهي عن قتل النساء والأطفال والشيوخ:

فلا يجوز الاعتداء على الكفار بغير حق، ولا بد ألا يقاتل الكفار والمشركون قبل دعوتهم إلى الإسلام، قال ابن قدامة في المغني: (ومن لم تبلغه الدعوة يدعى قبل القتال، ولا يجوز قتالهم قبل الدعاء)^(١).

كما أن قتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم في القتال داخل في الاعتداء المنهي عنه، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: (أي قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي من المثلة، والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم،

(١) المغني، لابن قدامة، ج ٨، ص: ٣١٤.

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل
والرهبان^(١).

٢ - الدعوة إلى الإسلام قبل القتال:

عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه، وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال له: «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال، أو خلال فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم»^(٢).

٣ - حرمة قتل المدنيين من غير أهل المقاتلة والممانعة:

لقد وضع الإسلام دستوراً حريماً عظيماً راعى فيه الحرمات ألا تنتهك، وأمر فيه بالعدل والقسط، ولو نظر أعداء هذا الدين لهذا الدستور الحربي الإسلامي، لعلموا أن هذا الدين لم يضعه بشر.

ولذلك نجد أن الإسلام حرّم قتل الكفار من المعاهدين؛ لأن لهم ذمة الله، وذمة المسلمين، فمن قتلهم فقد خان وغدر بذمة الله وذمة المسلمين، والمعاهد يشمل الذمي الذي يدفع الجزية، ويشمل المستأمن الذي يدخل بلاد المسلمين بأمان منهم، وكذلك يشمل الذين بيننا وبينهم عهد ولو كانوا في بلادهم، إذا تعاهد المسلمون مع الكفار، فإنه يجب على المسلمين الوفاء

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ١، ص: ٥٢٨.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعث، ووصيته إياهم بأداب الغزو وغيرها، ج ٣، ص: ١٣٥٧، رقم الحديث (١٧٣١).

مع الكفار سواء كانوا في بلاد المسلمين أو في بلاد الكفار.
فالوفاء بالعهد واجب، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

الفرع الثالث

مراعاة المصالح والمفاسد

المستقرى للشرعية الإسلامية في مصادرها ومواردها الدالة على مقاصدها يتبين له بجلاء أن الشريعة مبناها على رعاية المصالح وحفظ نظام الأمة، وهذا دليل على وسطية وعدل الإسلام، والأمر بالصلاح والنهي عن الفساد ورد كثيراً في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥]، فإذا تعارضت المصالح والمفاسد، فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فهو المطلوب، وإن لم يمكن تحصيل المصلحة إلا بارتكاب شيء من المفاسد، فينظر في هذه الحالة إلى الراجح والغالب منها.

فالجهاد في الإسلام يجب أن يحقق المصلحة المستهدفة من الجهاد هي مصلحة إظهار الدين، وكف بأس الكافرين، والدفاع عن المستضعفين. قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ٨٤].

فإذا غلب الظن أن الجهاد لن يحقق المصلحة التي شرع من أجلها كان هذا مانعاً من موانع القتال.

فمن المعلوم أن الجهاد لم يشرع لذاته، وليس مطلوباً لما فيه من إراقة دماء وإزهاق أرواح وقتل أنفس، بل هو مشروع لغيره، ولتحقيق مصلحة أو مصالح مشروعة من نصرة الدين، وإزالة الفتنة.

ويقول ابن دقيق العيد: (الأصل عدم إتلاف الأنفس ولو كافرة مفسدة وإنما أبيع للمصلحة).
إذاً.. فتقدير المصالح والترجيح بينها في مسائل الجهاد وعملياته لا بد أن يصدر عن أهل الخبرة والدراية والمعرفة سياسياً وعسكرياً.
فالإمام والقائد وذوو الخبرة في جبهات القتال ومراكزه هم الأولى في تقدير أبعاد الأعمال القتالية، من حيث مصالحها ومفاسدها.

المطلب السابع

تصحيح مفاهيم مغلوطة عن الجهاد

الجهاد في سبيل الله شرع لتعبيد الناس لربهم، يقول تبارك وتعالى: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فهذا هو الهدف الأسمى للجهاد، فإذا أصبح الجهاد نفسه محدثاً للفتنة في الدين، ومانعاً لتعبيد الناس لربهم وصدأً للناس عن الحق، وتخويفاً للشباب من ثمرة دعوة نقية لم يحقق الجهاد بذلك مقصوده الأسمى.

ولذلك وضع الإسلام سياجين كبيرين يعصمان أهل الإسلام من الانحراف بفريضة الجهاد عن هدفها، وهو أن يكون الدين كله لله، أو عن غايتها وهو أن يكون في سبيل الله^(١).

ولذلك فإن العلم الشرعي الغزير والعلم بالواقع والفهم العميق كل هذه لا غنى عنها، ويفتقر إليها البعض ممن ولج هذا الباب؛ لأننا نجد بعض من أخذهم الحماس للجهاد قد غالوا في ذلك وحمّلوا أنفسهم ما لا طاقة لهم به، فنتج عن قتالهم من المفساد والمصائب العظيمة ما الله به عليم، ولو فكر هؤلاء في نتائج ما أقدموا عليه لعلموا أن الله -عز وجل- لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولعلموا أيضاً أن الله -عز وجل- لم يجعل عليهم في الدين من حرج، وأن الله -عز وجل- يريد لهم اليسر ولا يريد لهم العسر، وهذا دليل على وسطية دين الإسلام، وأنه لا بد من مراعاة هذا الأمر في كل

(١) انظر: تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء، حمدي عبد العظيم، ص: ٣ - ١٠.

قتال وفي كل حال.

يقول ابن تيمية في الفتاوى: (إن الرسول ﷺ أخبر بظلم الأمراء بعده وبغيهم، ونهى عن قتالهم؛ لأن ذلك غير مقدور، إذ مفسدته أعظم من مصلحته، كما نهى المسلمون في أول الإسلام عن القتال، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧]، وكان النبي ﷺ وأصحابه مأمورين بالصبر على أذى المشركين والمنافقين)^(١).

ومن ضمن هذه المفاهيم المغلوطة عن الجهاد ما يلي:

١ - فتنة التفجيرات والاغتيالات باسم الجهاد:

فلقد انتشر هذا الفكر عند بعض الشباب الذي ليس لديه تحقيق من هذه الأفكار، وليس عنده مناعة كافية لدفع هذه الأقوال، فكانت مشكلة التفجيرات والاغتيالات باسم الجهاد في استخدام العبوات الناسفة^(٢)، والأسلحة الحديثة الفتاكة في هذا العصر، مما له آثار جسيمة، وعواقب وخيمة، وأحدثت من المفاسد الشيء الكثير، من إزهاق أرواح الأبرياء وتدمير الممتلكات، وإفساد المصالح، والمنشآت العامة، وقتل عدد من غير المسلمين المستأمنين في بلاد الإسلام بعهد أمان من ولي الأمر، سواء كانوا سائحين أو خبراء أو عمالاً وغيرهم، وهذا ناتج عن الجهل بكتاب الله -

(١) فتاوى ابن تيمية، ج ٤، ص: ٤٤٢.

(٢) لمزيد من التفصيل، ينظر كتاب التفجيرات والاغتيالات (الأسباب والآثار والعلاج)، أبو الحسن السليمانى.

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

عز وجل - وسنة رسوله ﷺ وعدم لزوم منهج السلف، والطعن في العلماء والنيل منهم، والحماس والثورة لدى بعض الشباب ولنيل الشهادة، ووضع أحاديث فضل الجهاد والشهادة في غير موضعها.

وقد أجاب فضيلة الشيخ صالح الفوزان في سؤال على من جعل التفجيرات والاغتيالات من باب الجهاد في سبيل الله.

فقال: هذا من الافتراء على الله، وعلى دينه نسأل الله العافية والسلامة، فالاغتيالات والتفجيرات والتمرد على الولاية، كل هذا ليس من الإسلام، بل هو يسبب على المسلمين شراً وخطراً، كما هو معلوم من الوقائع المعاصرة^(١).

٢ - فتنة التكفير باسم الجهاد.

إن أول نزاع حدث في هذه الأمة هو النزاع في التكفير، حيث كُفرت الخوارج المارقة علياً رضي الله عنه بعد حادثة التحكيم المشهورة، ومنذ صنفين، حيث بدأ الاختلاف والتفرق في هذه الأمة - وإلى اليوم والخلاف قائم حول حقيقة الإيمان والكفر، وما يتبع ذلك من القول في التكفير، بل إن الانحراف قد ازداد مع مرور الأيام، نظراً لردود الفعل المتعاقبة^(٢).

ونجد أن للتكفيريين والتفجيريين والمتأثرين بأفكارهم شبهات يرددونها في كتب يؤلفونها ومواقع في الشبكات العنكبوتية يبثونها، فأدخلوا في نفوس

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة، د. صالح الفوزان، ص: ٣٢٤.

(٢) انظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبد الله القرني، ص: ١٩.

كثير من ذوي الحماسة الدينية المفرطة شكّا وريباً^(١).

كما تبنا دعوات الخروج على ولاية الأمر وتكفيرهم بغير برهان من الله ودليل واضح، فقاموا بأعمال مشينة من تفجير وغيره باسم الجهاد لأجل الإصلاح، وهذا من أبطل الباطل يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ١١ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢].

قد صدر بيان من مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف، ابتداء من تاريخ (٢٠/٤/١٤١٩ هـ) ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء وتخريب المنشآت، ونظراً لخطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف الأموال، فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك بالآتي:

أولاً: التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله وأن التسرع في التكفير، له خطر عظيم.

ثانياً: إن الإسلام قد حفظ للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم، وحرّم انتهاكها وشدد في ذلك.

ثالثاً: أن المجلس في بيانه لحكم التكفير، وما يترتب عليه من شرور

(١) انظر: البرهان المنير في دحض شبهات أهل التكفير والتفجير، عبد العزيز الريس،

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

وآثام، فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطيء، وأن ما يجري في بعض البلدان هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه^(١).

ونجد أن من مكونات الهوية الوسطية الابتعاد عن اتهام أحد ممن دخل في عقد الإسلام بالكفر والبدعة بأعيانهم، ما لم يصرحوا بذلك، أو يصدر منهم مكفر أو بدعة من غير جهل ولا تأويل ولا خطأ ولا إكراه، ولا يعني هذا عدم بيان الحق أو عدم الرد على الخطأ بالحسنى، أيًا كان مصدره.

إذا... فالمفاهيم المغلوطة والخطئة عن الجهاد قد تعددت، وتنوعت بتنوع أعداء الإسلام، والمنحرفين عن هذا الدين القويم، كما أن بعض المسلمين قد ضلوا السبيل وتمسكوا بالدين وغالوا فيه، وفي حين عدم تمسكهم بوسطية هذا الدين وتخلوا عن طريق ومنهج السلف الصالح ظهرت لدينا فرق ضالة ومنحرفة نشرت القتل وسفكت الدماء بغير وجه حق، وفي مقابل ذلك نرى أن أعداء الإسلام والمنافقين من بذل السبل في سبيل إبعاد المسلمين عن الحقيقة الشرعية في مفهوم الجهاد بأساليب متعددة وماكرة تخدم مصالح أعداء الملة والأمة.

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، ع ٥٦، ص: ٣٥٧.

المبحث الثاني

الإرهاب

وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الإرهاب لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: نشأة الإرهاب وعلاقته بالفرق عبر التاريخ.
- المطلب الثالث: أسباب الإرهاب.
- المطلب الرابع: فتاوى العلماء في الإرهاب التي توضح وسطية الإسلام.
- المطلب الخامس: جهود المملكة في مكافحة الإرهاب.
- المطلب السادس: المنهج الوسطي في الفرق بين الجهاد والإرهاب.

توطئة

الإرهاب من المفردات الأكثر تداولاً وتردداً في وسائل الإعلام على مدار الساعة في هذه الأيام، ويشهد العالم أجمع هذا العصر موجات إرهابية كثيرة وخطيرة متنوعة، فليس هناك بلد في العالم إلا وقد اكتوى بنار هذا الوباء، حيث تباينت أشكاله وتنوعت صوره. وباشر العمليات الإرهابية أفراد وجماعات وعصابات، فليس للإرهاب لغة، وليس له وطن وليس له لون.

والإرهاب مشكلة عالمية تؤرق الكثيرين، في الوقت الذي لا بد فيه من السعي لحل هذه المشكلة بالرغم من أن موجات الفتن والإرهاب كانت قديمة، وظهرت في عهد صحابة رسول الله ﷺ وفي الوقت نفسه نجد منطلقات أعداء الإسلام للنيل منه بأن وصف الجهاد في سبيل الله بالإرهاب، فلذلك كان لا بد من تعريف هذا المصطلح، ونشأته وموقف الإسلام من الإرهاب وجهود المملكة في مكافحة الإرهاب.

المطلب الأول تعريف الإرهاب

وفيه فرعان:

- الفرع الأول: تعريف الإرهاب لغة.
- الفرع الثاني: تعريف الإرهاب شرعاً.

الفرع الأول تعريف الإرهاب لغة

لا يوجد مصطلح من المصطلحات أكثر استشارة للخلاف مثل مصطلح الإرهاب حيث اختلفت وجهات النظر، وتباينت، متأثرة بالمصالح الوطنية أو القومية أو الاعتبارات السياسية، فقد ملأت قضية ما يسمى (بالإرهاب) الدنيا، وشغلت الناس، وأصبحت حديثاً مشتركاً بكل اللغات، وعلى اختلاف الحضارات.

تعريف الإرهاب لغة:

تعتبر كلمة (الإرهاب) مشتقة من الفعل المزيد (أرهب)، ويقال: (أرهب فلاناً) أي: خوَّفه وفزَّعه، وهو المعنى الذي يدل عليه الفعل المضعف (رهب)، أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو (رهب يرهب رهبةً ورهباً) فيعني: خاف، فيقال: (رهب الشيء رهبةً ورهبةً أي: خافه، والرهبة: الخوف والفرع)^(١).

(١) لسان العرب، لابن منظور، ج ٥، ص: ٣٣٧.

قال الراغب الأصفهاني: الرَّهْبَةُ والرُّهْبُ: مخافة مع تحرز واضطراب^(١).
قال تعالى: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢].
ونجد أن الناظر في المعاجم العربية، والقواميس اللغوية، يجد أنها خلت
من كلمة (إرهاب)، والتعريف بها وفق المفهوم المعاصر.
ومصطلح (الإرهاب) ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (terrorisme)، التي
استحدثت أثناء الثورة الفرنسية، وهي ترجمة حرفية أيضاً للكلمة الإنجليزية
(terrorisme)، ويعتقد أن الترجمة الصحيحة للمصطلح الأجنبي هي كلمة
(إرعاب، وإخافة شديدة)، وليس (إرهاباً)^(٢).

وعندما ننظر في تراثنا الفكري، والعقدي - والسياسي والفقهية، نصل
إلى تقرير القول: بأن هذا التراث أيضاً خلا من التعرض لذكر أي تعريف
معتبر لهذا المصطلح، بل إن نصوص الكتاب والسنة تجاوزت صياغة أي
تعريف منضبط له^(٣)، وقد وردت مادة (رهب) ومشتقاتها في حوالي ثمانين
آيات في القرآن الكريم.
وهي:

١ - قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٢٠٤.

(٢) التعريف بالإرهاب وأشكاله، د. عبد الرحمن الهواري، ص: ١٩.

(٣) في مصطلح الإرهاب وحكمه، قراءة نقدية في المفهوم والحكم من منظور شرعي، د.

قطب مصطفى سانو، ص: ٧.

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونُ ﴿البقرة: ٤٠﴾.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُشْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿الأعراف: ١٥٤﴾.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونُ ﴿النحل: ٥١﴾.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿الأنفال: ٦٠﴾.

٥ - قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿الأعراف: ١١٦﴾.

٦ - قوله تعالى: ﴿أَسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَدٌ أُخْرَىٰ مِن غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿القصص: ٣٢﴾.

٧ - قوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿الحشر: ١٣﴾.

٨ - قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَكِّرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿الأنبياء: ٩٠﴾.

وهذه الآيات لا يمكن أن يؤخذ من أيٍّ منها، على أدنى تحديد لمصطلح الإرهاب وفق المفهوم المعاصر؛ إذ نجد أن هناك معاني متعددة، وفق السياق

التي جاءت في تلك الآيات المباركات، تختلف من آية لأخرى، غالبها تدل على معان عظيمة مرغوب فيها.

ولذلك نجد أن بين استخدام المعاصرين لمادة (رهب) وما اشتق منها، وبين استعمالات هذه المادة، وما اشتق منها في نصوص الشارع بوناً شاسعاً. ولو درسنا مادة (رهب)، وما اشتق منها في ألفاظ الكتاب والسنة لوجدنا أنها تشتمل على معان عظيمة.

أما المعاني السيئة من الاعتداء على الخلق والجرائم العامة والخاصة، فتدل عليها ألفاظ شرعية دقيقة تبنى عليها أحكام في غاية الانضباط^(١).



(١) انظر: الإرهاب والغلو (دراسة في المصطلحات والمفاهيم)، د. عبد الرحمن اللويحق، ص: ١٠ - ١١.

الفرع الثاني

تعريف الإرهاب في الاصطلاح

لقد حاول بعض المفكرين تعريف الإرهاب، والأعمال الإرهابية، كما حاولت بعض الاتفاقيات الدولية والإقليمية لتعريف الإرهاب وما يتصل به من أعمال ومن ضمن التعريفات:

١ - ما ذكره البعض بأنه: (القتل، والاغتيال، والتخريب، والتدمير، ونشر الشائعات والتهديد، وصنوف الابتزاز، والاعتداء... وأي نوع يهدف إلى خدمة أغراض سياسية واستراتيجية، أو أي أنشطة أخرى تهدف إلى إشاعة جو من عدم الاستقرار، والضغوط المتنوعة)^(١).

٢ - ويعرف د. عصام رمضان المتخصص في القانون الدولي الإرهاب بأنه: (استخدام أو تهديد باستخدام العنف ضد أفراد، ويعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة، أو تهديد الحريات الأساسية للأفراد لأغراض سياسية بهدف التأثير على موقف أو سلوك مجموعة مستهدفة بغض النظر عن الضحايا المباشرين)^(٢).

٣ - وقد عرف مجلس وزراء الداخلية والعدل العرب الإرهاب في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب الصادرة عام ١٩٩٨ م في القاهرة كما يلي:

(١) الإرهاب: الفهم المفروض للإرهاب المرفوض، د. علي الحجني، ص: ١٤.

(٢) الأبعاد القانونية للإرهاب الدولي، عصام صادق رمضان، مجلة السياسة الدولية

(٨٥٤)، ص: ٢٤.

(الإرهاب كل فعل من أفعال العنف أو التهديد أيًا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو اختلاسها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر)^(١).

٤ - تعريف المجمع الفقهي: حيث لم يغفل عن أهمية هذا الاصطلاح، بالإضافة إلى ضرورة كشف اللبس والغموض الذي أحاط به، الأمر الذي حمل بعض الجهات على استخدامه في منحى بعيد كل البعد عن الصواب. فشرع المجمع في إيجاد تعريف واضح، من منظور إسلامي، وسطي عادل وموزون، فعرفه المجمع الفقهي على أنه: (العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراة وإخافة السبل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي، فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم، أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية،

(١) انظر: المادة الأولى من الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، جريدة الرياض، الصادرة

بتاريخ ٢٩/١١/١٤١٨ هـ، العدد (١٠٨١٨).

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل
أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض الذي نهى الله -
سبحانه وتعالى - عنه^(١).

إن التباين الكبير في تعريف مصطلح الإرهاب ناتج عن التباين في العقائد
وفهم الناس للحياة.

ولم يستطع الباحثون الحصول على تعريف محدد للإرهاب؛ نظراً لعدم
ضبطه ومعرفة نوع العنف الذي يميزه على غيره ولعدم وجود معيار ثابت
يمكن الرجوع إليه في مفهومه، ولعدم القدرة على تحديد المعاني الداخلة في
هذا المصطلح.

ويمكن القول بأن الإرهاب له ثلاث خصائص مهمة وهي:

- ١ - استخدام العنف أو التهديد باستخدامه.
- ٢ - خلق حالة من الذعر وعدم الأمن في المجتمع.
- ٣ - تحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية.

(١) قرارات المجمع الفقهي الإسلامي، الدورة السادسة عشرة في ٢٦ شوال ١٤٢٢ هـ، رابطة
العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

المطلب الثاني

نشأة الإرهاب وعلاقته بالفرق عبر التاريخ

وفيه فرعان:

- الفرع الأول: عند الأمة الإسلامية.
- الفرع الثاني: عند الأمم الأخرى.

الفرع الأول

نشأة الإرهاب عند الأمة الإسلامية

يرى كثير من المؤرخين والباحثين أن الإرهاب ظاهرة قديمة قدم العلاقات الإنسانية، فهي ترتبط بوجود علاقات اجتماعية بين بني البشر، وترتبط بوجود الصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشر. وظاهرة الإرهاب ليست نشاطاً بشرياً طارئاً أو ظاهرة مفاجئة، إذ وجدت هذه الظاهرة في أقدم العلاقات وأعرق الحضارات. وقد جاء في بعض آيات القرآن الكريم وكتب السيرة والتاريخ ذكر بعض الحوادث التي يمكن احتسابها ضمن منظومة الإرهاب البشري. والنبي ﷺ لم يسلم من إرهاب من لم يؤمن برسالته، فتعرض لصنوف من العذاب والاضطهاد من قبل المشركين.

وبالرغم من أن الإسلام دين السلام والرحمة والعدل والوسطية والأمن والأمان، لم يدع إلى الحرب على الناس أو سلب الممتلكات والبغي والظلم، إلا أنه لم يسلم من ظهور فئات تخالف التعاليم السمحة من تلك

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

الفئات الخارجة عن الدين، والبعد عن رحمته وعدله وأمنه ووسطيته.
إن التاريخ الإسلامي في مختلف عصوره شهد الكثير من القلاقل والفتن
من بعض من ينتسب إلى الإسلام، وإن من أبرز من أثار الفتن والمشاكل
للمسلمين ما يلي:

أولاً: حركة الخوارج:

وهم الذين خرجوا على ولي الأمر عثمان رضي الله عنه ونتج عن خروجهم
قتله رضي الله عنه ثم في خلافة علي رضي الله عنه زاد شرهم وانشقوا عليه وكفروه، وكفروا
الصحابة؛ لأنهم لم يوافقوهم على مذهبهم، وهم يحكمون على من خالفهم
في مذهبهم أنه كافر، فكفروا خيرة الخلق وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم
لم يوافقوهم على ضلالهم^(١).

ومن المعروف أن الخوارج هم أول من استخدم الإرهاب الفكري في
وجه مخالفينهم ثم قتلهم ثانية، وقد شابهتهم كثير من الجماعات الدينية
المعاصرة.

يقول الشيخ العلامة صالح الفوزان: (وواجب على المسلمين في كل
عصر إذا تحققوا من وجود هذا المذهب الخبيث أن يعالجوه بالدعوة إلى الله
أولاً، وتبصير الناس بذلك، فإن لم يمتثلوا قاتلوهم دفعاً لشرهم)^(٢).

(١) لمعرفة المزيد عن مذهب الخوارج ينظر: البرهان في فرقة عقائد أهل الأديان، عباس
السكسكي، ص: ١٧.

(٢) انظر: لمحة عن الفرق الضالة، للشيخ صالح الفوزان.

ثانيًا: حركة القرامطة:

هي أتباع (قرمط) الذي أرسل عبد الله بن ميمون للدعوة لمبادئ الهدامة في العراق، وقد أحل أتباعه من كل فروع العبادة والتقوى، وأباح لهم العنف وخالف تعاليم الإسلام، فكان له رأيه في العبادات، وكانت هذه الفرق من أعنف الفرق، حيث حملت السلاح لحمل الناس على اتباع مذهبهم، وسفكت الدماء وألقت الرعب حتى وصلوا إلى مكة واقتحموا البيت الحرام^(١).

هذه بعض الأمثلة التي ظهرت في عصر صدر الإسلام، واستمر بعضها إلى يومنا هذا، والذي تنوع فيه الإرهاب بأشكاله وصوره، فتكونت عصابات وحركات منظمة ومسلحة، ذات أهداف ومعتقدات، ومناهج وأفكار تعلنها للمجتمع، وترتكب أفظع الجرائم وأشدّها، بعيدة كل البعد عن منهج الإسلام وعدله واستقراره وأمنه ووسطيته.

كل هذا في سبيل تحقيق أهدافها، ونشر أفكارها في العالم.

(١) انظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، د. سليمان الحقييل، ص: ٦٠.

الفرع الثاني

نشأة الإرهاب عند الأمم الأخرى

يعتبر اليهود هم حملة راية الإرهاب، منذ فجر التاريخ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - أبان عن صفاتهم وطباع نفوسهم، بكثرة معاصيهم، وعدوانهم لأنبياء الله، وقد تمرنت قلوبهم القاسية على الكفر والطغيان، ودبروا مؤامرة للقضاء على عيسى عليه السلام، كما قتلوا من قبل يحيى غدرًا أو مكابرة، وافتروا على مريم بهتانًا عظيمًا^(١).

كما أن لليهود والنصارى بذرة في تاريخ الإرهاب، وما قاموا به من الحروب الصليبية على مر التاريخ، فلم يرقبوا بالمسلمين إلا ولا ذمة، خير دليل على ذلك، وإن كانوا في هذا العصر قد أوقدوا هذه الحروب^(٢)، ومن فرنسا أخذت تنشر فرق المتطرفين الفوضويين إلى معظم أنحاء العالم، إلى روسيا، وإلى بعض الدول الآسيوية، وشتى العواصم الأوروبية، وشهد القرن التاسع عشر في العقدين الأخيرين منه حالة من الفوضى والفرع نتيجة لوجود تنظيمات متطرفة فوضوية إرهابية غربية ليس منها واحد ينتمي إلى الإسلام. فهل يجوز بعد هذا أن يقال: إن الإسلام صنو الإرهاب، كما تقول بعض وسائل الإعلام الغربية إن ربط وسائل الإعلام بين الإسلام والإرهاب أمر يدعو للدهشة والاستغراب، فالإرهاب قتل وإصابة وظلم وترويع للأبرياء.

(١) انظر: الإرهاب دوافعه وعلاجه، د. محمد الشويعر، ص: ٤٩ - ٥٥.

(٢) إتحاف ذوي الألباب بحقيقة الإرهاب، رضوان الشهابي، ص: ١٧.

أما الإسلام فلا يقر الإرهاب مطلقاً، بل يتجنبه وحكمه حرام عند الله، ويؤنب من يمتنه، ولا يكفي التأنيب في حق الإرهابي، بل يجب منعه والأخذ على يده، والإرهاب لا يصدر إلا عن فكر منحرف؛ لأن من أهم مميزات الوسطية في الإسلام الأمان؛ ولذا يقال: الوسطية تمثل منطقة الأمان، والبعد عن الخطر، فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد بخلاف الوسط فهو محمي ومحروس بما حوله، وكذلك بشأن النظام الوسط والأمة الوسط، ولا شك أن التمسك بالقاعدة الشرعية هو الذي يحقق الأمان لأهل الإيمان. إن الظلم من أعظم الأمور التي تزيل الأمن، ومن أظلم الظالمين من نأى عن وسطية القاعدة الشرعية فعطلها، وجنح إلى غيرها^(١).

(١) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص: ١٣٢.

المطلب الثالث

أسباب الإرهاب

ويشتمل على:

- أ) البعد المحلي: المستوى الداخلي.

- أسباب تربوية ثقافية.

- أسباب اجتماعية.

- أسباب اقتصادية.

- أسباب سياسية.

- أسباب نفسية.

- ب) البعد العام: المستوى الدولي.

الإرهاب والعنف لم يأت اعتباراً ولم ينشأ جزافاً بل له أسبابه، فلا نستطيع الجزم بأن هناك سبباً واحداً أدى إلى ظهور هذا الفكر، ولقد تعددت الاتجاهات والمدارس الفكرية التي تناولت دراسة أسباب ظاهرة الإرهاب، فهي أسباب كثيرة ومتداخلة تفاعلت على المدى البعيد، فأنشأت في النهاية فكراً متطرفاً.

ولكن يرى الباحثون في هذا المجال أن أسباب الإرهاب تنطلق من

بعدين رئيسيين، هما:

أ - البعد المحلي للدول، وهو المستوى الداخلي لكل دولة.

ب - البعد العام، وهو المستوى الدولي.

أ - البعد المحلي: المستوى الداخلي:

يرى بعض الباحثين أن أسباب الإرهاب يعزى إلى البيئة التي يعيش فيها الإنسان، والمؤثرات التي تتدخل في تكون نمط حياته، أو تؤثر فيها ومن تلك الأسباب:

١ - أسباب تربوية وثقافية: فأي انحراف أو قصور في التربية يكون الشرارة الأولى التي ينطلق منها انحراف المسار عند الإنسان، ويجعل الفرد عرضة للانحراف الفكري ومناخاً ملائماً لبث السموم الفكرية لتحقيق أهداف إرهابية.

٢ - أسباب اجتماعية: فانتشار المشكلات الاجتماعية والتفكك الأسري يدفع الفرد إلى الانحراف في السلوك، والتطرف في الآراء، والغلو في الأفكار، بل ويجعل المجتمع أرضاً خصبة لنمو الظواهر الخارجة عن الطبيعة البشرية.

٣ - أسباب اقتصادية: فكلما كان دخل الفرد يفي بمتطلباته ومتطلبات أسرته كان من رضاه واستقراره الاجتماعي ثابتاً، وعلى العكس إذا كان دخله قليلاً كان مضطرباً وغير راضٍ عن مجتمعه، هذه الحالة من الشعور يولد عند الإنسان حالة من التخلي عن المسؤولية الوطنية.

٤ - أسباب سياسية: فوضوح المنهج السياسي واستقراره، والعمل وفق معايير وأطر محددة، يخلق الثقة والقناعة، ويبني قواعد الاستقرار الحسي والمعنوي لدى الفرد، كما أن الغموض في المنهج والتخطيط في العمل يزعزع الثقة، ويخلق حالة من الصدام بين المواطنين والقيادة السياسية،

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

فتقوم جماعات وأحزاب، وهذا وجه من وجوه انتشار الإرهاب.

٥ - أسباب نفسية: فهناك دوافع تدميرية نفسية متأصلة في الفرد، وتضخم الأنا العليا بسبب الشعور المتواصل بوخز الضمير، أو الإحباط في تحقيق بعض الأهداف أو الرغبات، أو الوصول إلى المكانة المنشودة، فهذه العوامل النفسية تؤدي إلى ارتكاب الأعمال الإرهابية، نتيجة لخلل في التكوين النفسي أو العقلي أو الوجداني، سواء مكتسب أو وراثي^(١).

ب - البعد العام: المستوى الدولي، نتيجة لعدة أسباب منها:

- ١ - ظهور منظمات وهيئات كثيرة في العالم تسجل رسمياً في دولة من دول العالم لأهداف وأغراض إنسانية أو تعليمية محددة، وقد يوجد إمكانية لبعض أفراد تلك المنظمات في سوء استخدام تلك التبرعات.
- ٢ - التقدم العلمي والتقني في مجال شبكات الاتصال، الذي مكن أعضاء تلك الخلايا والشبكات الإرهابية من الحصول على معدات وأجهزة فنية متقدمة.
- ٣ - التناقضات في موقف بعض دول العالم تجاه ظاهرة الإرهاب.
- ٤ - وجود ما يسمى بحركات المقاومة للفكر السائد في بعض الدول أو للنظام الحاكم فيها.

٥ - تفشي ظاهرة الفقر والبطالة في كثير من دول العالم.
هذه نماذج من الأسباب العامة لظهور ظاهرة الإرهاب على المستوى الدولي.

(١) لمعرفة المزيد من أسباب الإرهاب، ينظر: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، دراسة تحليلية، د. أسماء الحسين.

المطلب الرابع

جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب

أولاً: فيما يتعلق بالنواحي القضائية:

اعتماد العقوبة المغلظة للإرهاب حسب فتوى هيئة كبار العلماء في فتوى الحراة الصادرة بالطائف، وانطلاقاً مما ذكره أهل العلم من أن أحكام الشرع إنما تدور من حيث الجملة على وجوب حماية الضرورات الخمس هي: الدين والنفس والعرض والعقل والمال، وإن من انتهكها فإن عقوبته القتل.

ثانياً: فيما يتعلق بالنواحي الإرشادية والفكرية:

- ١ - تأصيل منهج الوسطية ومعالجة الغلو والتطرف والتعصب الديني.
- ٢ - تنمية الوازع الديني لدى أفراد المجتمع والاهتمام بالناشئة على تعلم القرآن وحفظه.
- ٣ - توفير الأئمة والخطباء للمساجد.
- ٤ - إقامة الندوات والمؤتمرات التي تؤصل منهج الحق وتنبذ التطرف والإرهاب.

- ٥ - التصدي للحملة الإعلامية الباطلة لتهمة إصاق الإرهاب بالإسلام.
- ٦ - أنشأت المملكة مراكز ومعاهد إسلامية في مختلف أنحاء العالم، هدفها نشر الدين بالصورة الصحيحة، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثالثاً: فيما يتعلق بالنواحي الاجتماعية:

- ١ - تدعم الدولة توثيق الأواصر الاجتماعية، الأمر الذي يقلل من فرص انحراف الشباب إلى المنظمات الإرهابية.

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

٢ - اهتمام الدولة بالشباب وتعمل على تسهيل الزواج لحصانته وحمايته من الانحراف.

٣ - تدعم الدولة الأسرة في الأحوال الخاصة وأمور الضمان الاجتماعي لما يحقق الرفاهية للمواطن.

رابعاً: فيما يتعلق بالنواحي الأمنية:

١ - تفعيل وتقوية جهاز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأخذ على يد المجرمين.

٢ - إنشاء أجهزة أمنية مرتبطة بوزارة الداخلية، مختصة في مكافحة الإرهاب. تدابير الوقاية من الجرائم الإرهابية:

١ - الحيلولة دون اتخاذ أراضيها مسرحاً لتخطيط أو تنظيم أو تنفيذ جرائم إرهابية.

٢ - التعاون بين الدول العربية.

٣ - تعزيز أنظمة الكشف عن استيراد وتخزين الأسلحة والذخائر.

٤ - تطوير الأنظمة البرية والبحرية والجوية.

٥ - تعزيز أنشطة الإعلام الأمني وتنسيقها مع الأنشطة الإعلامية.

٦ - إنشاء قاعدة بيانات لجمع وتحليل المعلومات الخاصة بالعناصر والجماعات والحركة التنظيمية والإرهابية^(١).

(١) لمزيد من التفصيل، انظر: جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب، د.

سعيد بن عائض الزهراني.

المطلب الخامس

وسطية الإسلام في الفرق بين الجهاد والإرهاب

من خلال ما تكلمنا عنه من كل من الجهاد وما يسمى (بالعنف والإرهاب) يمكن التمييز بين الجهاد المشروع والعنف المذموم من حيث المشروعية والهدف والوسيلة والثمرة فالجهاد مشروع مندوب إليه في الجملة وقد يجب في مواطن وأحوال معينة، كما قد يحرم في أخرى كما أنه يتميز بوضوح هدفه ونبله ومشروعيته، ووسائله، والتزامه بأحكام الشرع، ومكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام: قبل القتال، وأثناء القتال، وبعد القتال، وثمرته هي رضا الله سبحانه ورفعته الدين والتمكين له ودفع الفتنة، أما (العنف) كما يقوم به بعض الشباب ممن يفتقد لهذه الرؤية الشرعية، فينقصه الوضوح في الرؤية، سواء للأهداف أم للوسائل، وللضوابط الشرعية فضلاً عن افتقاده للمشروعية ابتداءً، ناهيك عن ثمرته من تشويه الدين ووقوع الفتنة.

كما أن عدم المعرفة والتجاهل في الوسطية في الجهاد يعود إلى الخلفية العقديّة والتاريخية لمن يستعمل هذا الاصطلاح في خطابه، وعلى سبيل المثال فالجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام أو للدفاع عن الأرض والعرض أمر مشروع، لكن أعداء الإسلام يرونه إرهاباً!

فالإرهاب على هذا عند الجميع (تخويف وترويع وبثٌ للفزع والرعب في قلوب الناس)، لكن المقاصد والأهداف والغايات هي التي تحدد مفهومه،

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل
حميداً كان أو ذميماً.

وبهذا تتضح الفروق الجوهرية بين ما سمي (الإرهاب) الذي هو
عدوان، وبين الجهاد.

إن ما سمي (الإرهاب) يختلف عن الجهاد اختلافاً جوهرياً في كل
شيء، في حقيقته ومفهومه، وأسبابه، وأقسامه، وثمراته، ومقاصده، وحكمه
شرعاً، فالجهاد مشروع، والعدوان ممنوع.

إن الإرهاب بمعنى العدوان هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم،
ومقومات حياتهم والاعتداء على أموالهم وأعراضهم، وحرابتهم وكرامتهم
الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض.

أما (الجهاد) فهو يهدف إلى الدفاع عن حرمان الآمنين، أنفسهم،
وأموالهم، وأعراضهم وإلى توفيرها وتأمينها الحياة الحرة الكريمة لهم،
وإنقاذ المضطهدين وتحرير أوطانهم وبلدانهم من براثن قوى الاحتلال
والاستعمار.

والإسلام في وسطيته لم يأمر أمته بالعدوان أبداً ولا ترويع الآمنين أبداً،
ولا بسلب مقدرات الآخرين أو الاستيلاء عليها أبداً، ولكن أمر المسلمين
أن يتخذوا العدد والعدة، وأن يربطوا في الصفوف حفاظاً على مقدساتهم
ومقدراتهم وأنفسهم، فلا يبدؤوا غيرهم بعدوان، ولكن إذا اعتدي عليهم
كانوا رجالاً.

إن الجهاد في الإسلام شرع نشراً للإسلام، ونصرة للحق، ودفعاً للظلم،

وإقراراً للعدل والسلام والأمن، وتمكيناً للرحمة التي أرسل محمد ﷺ بها للعالمين؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وهو ما يقضي على الإرهاب بكل صوره.

وجملة القول: الجهاد في سبيل الله فريضة شرعية، وإرهاب الآمنين جريمة ضد البشرية، الجهاد مشروع، والإرهاب بمعنى العدوان ممنوع، وشتان ما بينهما والله جل جلاله أعلم^(١).

(١) انظر: بين الإرهاب الممنوع والجهاد المشروع، عصمت الله عناية الله، مجلة كشمير، عدد (١١٦)، ص: ٣١.

المطلب السادس

موقف الإسلام من الإرهاب وفتاوى العلماء

في ذلك دليل على المنهج الوسطي

سلك الإسلام طرقاً متعددة وأساليب متنوعة لمكافحة الإرهاب وأخطاره، ومن أبرز تلك الأساليب الدعوة للأخذ بالمنهج الوسطية والاعتدال في شؤون الحياة كلها^(١)، فاعتدال المنهج الإسلامي وعدله بين النواحي الروحية والمادية يحصنه من تسرب الغلو المادي والروحي.

لذلك فإن اختلاف الإسلام عن المذاهب المتطرفة واستقلاله وتميزه عليها ناتج من توسطه أي التزامه الصراط المستقيم.

والإسلام حارب ما سمي متأخراً (الإرهاب) لأنه فساد في الأرض وهو في حقيقته اعتداء موجه ضد الأبرياء وسلبهم أمنهم وطمأنينتهم وهو مرفوض في نظر الإسلام، بل إنه حث المسلمين على الابتعاد عن كل ما يُدني من الضعف والإرهاب واستخدام القوة.

ذلك أن الإسلام دعا للتعامل بالحسنى مع جميع أفراد المجتمع، وقد صانت الشريعة الإسلامية وحفظت حقوق الإنسان أيّاً كانت ديانته، وأكدت على حرمة الدم البشري، فحرم سفكه إلا بالحق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

(١) انظر: الوسطية في الإسلام، تعريف وتطبيق، د. عبد الكريم الزيد، ص: ٩.

وَمَا بَطُنْ وَلَا تَقْنُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١].

واعتبر أن من اعتدى على إحداها فكأنما اعتدى عليها جميعاً؛ لأنه اعتدى على حق الحياة، قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وقد قرر الجزاء الرادع لجميع أنواع الفساد، واعتبره محاربة لله ورسوله. وبين العلماء في العصر الحاضر حكم الإرهاب وكيف يكون الجهاد البشري من خلال أقوالهم وفتاويهم حول ما يجري في الساحة الآن من إثارة الفتن، وبث الشبهات والدعايات الباطلة لتفريق كلمة المسلمين وزعزعة الأمن، وذلك ببيان المنهج المستقيم منهج السلف الصالح من هذه الأمة والتي كانت أشد الناس تصوراً للتوسط، وفهماً للشرعية والعقيدة على هذا الأساس الراسخ. وإليك بعض فتاوى العلماء المعاصرين فيما يتعلق بأمور الجهاد والإرهاب:

السؤال: يظن بعض الشباب أن مجافاة الكفار الذين يستوطنون في البلاد الإسلامية أو من الوافدين إليها من الشرع؛ ولذلك يستحلون قتلهم وسلبهم إذا رأوا منهم ما ينكرون؟

الجواب: لا يجوز قتل الكافر المستوطن أو الوافد المستأمن الذي أدخلته الدولة أمنًا ولا قتل العصاة ولا التعدي عليهم، بل يحالون فيما يحدث منهم من منكرات للحكم الشرعي وفيما تراه المحاكم الشرعية.

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

السؤال: هل يجوز الخروج للجهاد بدون إذن ولي الأمر مع رضا الوالدين؟

الجواب: الجهاد مع من؟ ومن هو الإمام الذي تريد أن تجاهد تحت رايته؟ وأيضاً الدول بينها معاهدات، فلا بد أن تأخذ إذن ولي الأمر بالخروج لتلك الدولة، المسائل لها أصول وليست فوضى، فإذا أذن ولي الأمر وأذن والداك فلا بأس.

السؤال: ما رأيكم فيمن يوجب الجهاد في وقتنا الحاضر، ولو خرج أحدهم مجاهداً هل يأثم؟

الجواب: الجهاد إذا توفرت ضوابطه وشروطه، وجاهد المسلم فهذا طيب، أما ما دامت لم تتوفر شروطه ولا ضوابطه فليس هناك جهاد شرعي لأنه يترتب عليه ضرر المسلمين أكثر من المصلحة الجزئية، أنت ضربت الكافر لكن الكافر سينتقم من المسلمين وسيحصل ما أنتم تسمعون الآن، وهذا لا يجوز، ما دام أنه لم تتوفر الشروط مع قائد مسلم وراية إسلامية، وإن كان قصد الإنسان حسناً ويريد الجهاد والثواب على نيته لكنه مخطئ في هذا^(١).

(١) لمزيد من أقوال وفتاوى العلماء في القضايا المعاصرة ينظر إلى:

- الإجابات المهمة في المشاكل الملزمة، صالح الفوزان، جمع: محمد الحصين.
 - الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، جمع: محمد الحصين.
 - فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة، جمع وترتيب: محمد القحطاني.
- =

الخلاصة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فالوسطية سمة ثابتة بارزة في كل باب من أبواب الإسلام: في الاعتقاد، والتشريع، والتكليف، والعبادة، والشهادة والحكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله.

دين الإسلام دين الوسطية، دين الاعتدال، دين الاستقامة، فلا غلو ولا إرهاب ولا تطرف، والجهاد في الإسلام بشروطه وأحكامه وقيوده لا يمكن بحال أن يُدرج في إطار ما يسمّى اليوم بالإرهاب.

ومن خلال هذا البحث يمكن التوصل إلى النتائج التالية:

- ١ - وسطية الإسلام شاملة جامعة لكل أمور الدين والدنيا والآخرة، بل إنها وجه من وجوه الإعجاز فيه وصلاحيته لكل زمان ومكان.
- ٢ - نبذ الشريعة الإسلامية الغراء للغلو والتطرف وأمرها بالسماحة واليسر والاعتدال والوسطية.
- ٣ - أن لفظ الجهاد أدخله أعداء الإسلام تحت (الإرهاب)، مما يوجب تحرير المراد وبيان عظمة مدلولات لفظة الجهاد في الشريعة في ظل وسطية الإسلام.
- ٤ - الجهاد من شعائر الدين غير أن هذه الشعيرة العظيمة قد تعرضت لظلم

الفرق بين الجهاد والإرهاب ————— د. لمياء بنت سليمان الطويل

بين من قبل أعداء هذا الدين، كما تعرضت لظلم من بعض أتباعه أيضاً؛ عندما أغفلوا مقاصده وحقائقه وأهدافه وغاياته ومجالاته.

٥ - إن مصطلح الإرهاب هو من أكثر المصطلحات استقطاباً للجدل القانوني والدولي في تحديد مفهومه واستجلاء عناصر هذا المفهوم ومكوناته.

٦ - الإرهاب ظاهرة عالمية لها جذورها في التاريخ البشري وإن كان تركيز الاهتمام عليها يتفاوت من زمن إلى آخر.

٧ - تعدد الاتجاهات التي تناولت دراسة أسباب ظاهرة الإرهاب، ولكنها تتفق في القول بأن ظاهرة الإرهاب مركبة معقدة، ولها أسباب كثيرة ومتداخلة، بل وتنوع الاستنتاجات بحسب اختصاص الباحثين.

التوصيات:

١ - ضرورة قيام العلماء بجهود منسقة في شرح رسالة الإسلام ويسره وسماحته في مواجهة الصورة النمطية المرتسمة في أذهان الكثيرين عن الإسلام وتعاليمه وشرائعه وشعائره.

٢ - حاجة الأمن إلى سلوك منهج الوسطية في علاج كثير من الانحرافات في شتى المجالات، وهذا كله يلقي على كواهل علماء الشريعة ودعاة الإصلاح في الأمة.

٣ - تفعيل دورات مراكز البحوث بالجامعات، ووزارة التربية والتعليم في دراسة جميع جوانب ظاهرة الإرهاب مع إيجاد أفضل السبل للتعامل معها وفق رؤية علمية.

- ٤ - نشر الوعي الإسلامي وتأصيل منهج الوسطية بالتعامل مع المؤسسات الدعوية والعلمية في البلاد الإسلامية والعربية.
 - ٥ - تضمين المقررات الدراسية في المراحل الدراسية المختلفة مواضع تركز على وسطية الإسلام وسماحته وحضارته وسمو شرائعه وتعاليمه، وتعريف النشأ بمخاطر الإرهاب والتطرف، وخطرها على الفرد والمجتمع.
 - ٦ - ضرورة فهم نصوص القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة، والتي أساء البعض فهمها في الماضي والحاضر نتيجة لفصل هذه النصوص عن الملابسات التي أحاطت بظهور الإسلام وتكالب الأعداء عليه وعدوانهم على أهله، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تخالف مجمل نصوص القرآن والسنة في ظل وسطية الإسلام.
 - ٧ - أن نشر الثقافة الوسطية والتسامح، ونبتذ التطرف والإرهاب والفرقة والاختلاف مسؤولية تقع على كاهل الأمة الإسلامية.
 - ٨ - أسأل الله - عز وجل - أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.
- ويلهمني الرشد والصواب، ويستر الزلة والعيب، ويتجاوز عن الخطأ والنسيان، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.